الحفاظ على التراث العمرانى للمدن القديمة (دراسة حالة المدينة القديمة- درنة - ليبيا)

دكتور / محمود محمد غيث[١]، دكتور / شريف صبرى سعد الدين[٢]، مهندسة/ سميرة أحمد بن عمران[٣]

ملخص

إن ايجاد طريقة للتعامل مع المدن التراثية والتاريخية القديمة التي تشكل جزءا "هاما" من نسيج مدننا الحضرية هو أولوية يجب أن نأخذها بعين الاعتبار عند التفكير في خطط التنمية بشكل عام ومخططات التنمية السياحية المستدامة بوجه خاص، وقد تم خلال هذا البحث إستعراض لبعض المفاهيم والأتفاقيات التى تدعم الحفاظ على التراث الدولى لأنها مرجعية لعمليات التدخل فى الحفاظ والترميم للتراث المعمارى والعمرانى، وتناول البحث سياسات الحفاظ المبنية على دراسات على المنطقة الحضرية والتى يمتد نطاق الحفاظ فيها ليشمل البيئة العمرانية بالأضافة الى المبانى وفى بعض الاحيان للبيئه الاجتماعية والاقتصادية، وخلص البحث الى أنه يجب ان تبدأ عمليات الحفاظ على مستوى المنطقة بالكامل بحيث لا تتعارض عمليات الحفاظ مع عملية الاعمار لباقى المدينة المهدمة ومع عمليات التنمية المستدامة للأقليم الذي يضم المدينة.

المقدمة

إن المدن التراثية فى دولنا العربية تميزت بالموروثات الثقافية المتنوعة الباقية فى صورة مدن تراثية والتى خلفتها الحضارات التى تعاقبت عليها على مر العصور، وخلفت هذه الحضارات طرز مختلف من الحفاظ على العمق التاريخى لهذه الموروثات ذات القيمة فى فهم التاريخ الحضاري لهذه المدن.

والمدينة القديمة فى مدينة درنة بليبيا أمست بين المطرقة والسندان إن صح التعبير بين سندان التدهور والاندثار الذى أصاب تراثها الحضارى جراء الإهمال واللامبالاة والهجرة من المبانى التقليدية، وبين مطرقة الحرب وما خلفته من دمار من ناحية اخرى.

كلمات مفتاحية

التراث العمرانى، الحفاظ العمرانى، المدينة القديمة درنة، إستراتيجية الحفاظ.

المشكلة البحثية

١ - خطر التشويه والإهمال التى واجهته المدينة القديمة فى مدينة درنة مما أدى لهجرة سكانها منها وخوائها مما عرضها للهدم والتدمير، وخاصة أثناء الحرب.

٢ - عدم تطبيق خطط وسياسات التنمية المستدامة وإدارة الحفاظ على المدينة القديمة التى تحوى التراث العمرانى.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث فى محاولة أحياء وأستمرارية هذا الإرث الثقافي والتراث العمرانى فى مدينة درنة بالحفاظ عليه وترميمه وإعادة بناءه للأجيال القادمة، وإعادة التأهيل للمبانى وتهيئتها لإستخدامات جديدة، وبذلك تحويل المنطقه العمرانية المتدهورة المهملة والمدمرة الى منطقه صالحه للسكن وإزالة صبغة سكن الفقراء والأجانب عنها مما يسهم بشكل مباشر وغير مباشر فى تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

أهداف البحث

١ - إيجاد سياسات من شأنها أن تحدد كيفية إعادة إعمار المنطقة المدمرة والحفاظ على التراث العمرانى وإحياءه

*"البحث جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراة"

١ - أستاذ التخطيط العمرانى بكلية الهندسة جامعة الأزهر، رئيس الجمعية المصرية للتخطيط العمرانى

٢ - استاذ التخطيط العمرانى بكلية الهندسة جامعة الأزهر

٣ - محاضر بكلية الفنون والعمارة - جامعة عمر المختار – ليبيا

وتحقيق استدامته فى المنطقة، بتحقيق عائد اقتصادى من خلال صناعة السياحة.

٢ - إستغلال وضع المنطقة القديمة الحالى فى إمكانيات التعديل والتطوير ولتصحيح أخطاء الماضى من أعمال إحياء وصيانة وإعادة تأهيل غير مدروسة بشكل وافى طبقا" لأهداف التنمية المستدامة.

أسئلة الدراسة

١ - مامدى أهمية أعمار المدينة القديمة درنة فى الابقاء والحفاظ عليها وعلى التراث العمرانى فيها.

٢ - ما التحديات التى تواجه المدينة حاليا" ومستقبلا" وما دور التنمية السياحية فى استراتيجية الحفاظ هذه التساؤلات سيتم الاجابة عليها فى سياق هذا البحث.

تعريفات ومفاهيم

الحفاظ العمرانى: الحفاظ بمفهومه العام هو محاولة لتحقيق كيفية الأستمرارية والبقاء من خلال أفضل الوسائل المتاحة شكلاً واتجاهاً، حيث شملت منهجيات الحفاظ أشكالا" واتجاهات متعددة نحو الحفاظ على البيئة الحياتية بمشتملاتها الطبيعية، والحفاظ على البيئات المشيدة[١]".

مفهوم التراث "قد حددت جامعة الدول العربية مفهوم التراث بأنه: كل ماشيده الإنسان من مدن وقري وأحياء ومبان وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أوعمرانية أواقتصادية أوعلمية أو ثقافية أو وظيفية[٢].

١ - التراث العمرانى وأهمية المحافظة عليه

التراث العمرانى هو الجانب المادى من التراث الحضارى وهو الذى يعد شاهدا"حيا" على العمران وأرتباطه الوثيق بالبيئة المحلية والعادات والتقاليد المتوازنة، ويعكس عمق التفاعل الايجابى مع الظروف المناخية والبيئة السائدة ومواد البناء المحلية[٣]، وهناك العديد من المدن العربية التي اكتسبت جاذبيتها السياحية من خلال هويتها العمرانية المتميزة خاصة القديمة منها مثل مدينة صنعاء بعمان ومدينة دمشق بسوريا ومدينة القاهرة بمصر وكذلك مدينة غدامس القديمة فى ليبيا."ولكن إذا نظرنا إلي واقع الكثير من مدننا العربية المعاصرة حاليا نجدها مشوشة وغير منسجمة وبدأت تفتقد هويتها المعمارية التي تميزت بها لفترات طويلة[٣]".

وتتمثل أهمية التراث العمرانى فى الجوانب التالية:

- كمورد اقتصادى بتوفير مناطق انتاج واسواق واحياء المهن والصناعات التقليدية.
- كمورد سياحى بالأستثمارات السياحية للمبانى التراثيه.
- كأساس لتنمية المجتمع المحلى وتوفير فرص عمل وبالتالى الأستقرار والأرتباط بالمنطقة.
- كأساس للمحافظه على الثقافة المحلية والهوية العمرانية.

٢ - أنواع الحفاظ[٤]

٢ -١ - الحفاظ العمرانى

الحفاظ على مناطق التراث العمرانى ويقصد بها الأحياء الكاملة وهى التى تشكل جزءا من مركز المدينة.

٢ -٢ - الحفاظ المعمارى

وهو الحفاظ على المبانى التراثية المعمارية ويقصد بها كل مبنى(أثر) داخل حدود الكتله العمرانية أو خارجها ويعكس أهميه خاصة (تاريخية، حضارية، تاريخيه، أو معمارية).

٣ - مستويات الحفاظ على التراث العمرانى

تنقسم عمليات الحفاظ على التراث الى عدة مستويات منها على المستوى الدولي، والمستوى الأقليمي، وعلى المستوى المحلي سواءً كان للمنطقة التراثية أو ممر تراثي أو مجموعة مباني أو مبنى واحد أو عناصر معمارية، شكل رقم (١) ولكل مستوى منهجيته الخاصة فى عملية الحفاظ تبعا لحجم ونوع التراث وأهميته.

شكل رقم ١ - مستويات الحفاظ على التراث العمرانى - المصدر: الباحثة

٤ - عرض لبعض الأتفاقيات والمواثيق الدولية للمحافظة على التراث العمرانى الدولى[٤]

١ - وثيقة أثينا ١٩٣١م

أول ميثاق للتعامل مع التراث في المؤتمر الأول لاتحاد المعماريين ومرممي المباني الأثرية في عام ١٩٣١م، وكان بداية التعاون الدولي حول مواقع التراث العالمي يدور بشكل عام حول "الحماية الدولية للمواقع التراثية والآثار"، وقد أرسى سبعة مبادئ رئيسية تحدد أسس حماية التراث ومن الناحية الإدارية، ونادى ميثاق أثينا بضرورة إنشاء مؤسسة دولية تختص بالحفاظ وبترميم الآثار.

٢ - معاهدة حماية التراث الحضاري ١٩٥٤م

جاءت هذه المعاهدة لحماية التراث الحضاري في الدول المختلفة في حالة العدوان أو الحرب والصادرة عن منظمة اليونسكو ومن أهم توصياتها قيام الأمم المتحدة بحماية المباني التراثية للدول المختلفة حال الحرب وبضرورة إصدار القرارات اللازمة لذلك من إمكانية استخدام القوة العسكرية لإلزام الجهات المختلفة بالمعاهدة إذا لزم الأمر.

٣ - ميثاق البندقية عام ١٩٦٤م الأيكوموس

شكلت وثيقة فينيسيا نقلة نموذجية بالتحول من المباني الأثرية إلى الأماكن التاريخية، ومن التراث الملموس إلى التراث غير الملموس، مع التأكيد علي أهمية الحفاظ عليها دون فصلها عن موقعها الأصلي إلا إذا كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لضمان بقائها.

٤ - توصيات بودابست١٩٧٢م

عرفت إعادة الإحياء للمعالم التاريخية أو مجموعات المباني "على هيكلها أو خارجيا بأنها "إعادة استعمالها وإضافة استعمالات جديدة، لا تؤثر داخليا بخصائصها".

٥ - توصيات نيروبي ١٩٧٦م

عرفت حماية المناطق التاريخية بأنها "التجديد والوقاية والترميم والصيانة وإعادة الإحياء للمناطق التاريخية أو التقليدية وبيئاتها وبذلك تتضمن الحماية لكل طرق التدخل الممكنة في المناطق التاريخية".

٦ - ميثاق أبلتون١٩٨٣م

حدد ميثاق أبلتون مستويات التدخل للإبقاء على التراث العمراني ومنها الإبقاءعلى الشكل والمواد الموجودة ووحدة المكان والترميم وإعادة التأهيل وإعادة البناء.

٧ - ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن والمناطق التاريخية ١٩٨٧م

هذا الميثاق كان مكملا لميثاق البندقية، وقد أكد على عملية المشاركة السكانية في برنامج الحفاظ، كما اعتبر أن تحسين المسكن يجب أن يكون أحد الأهداف الأساسية للحفاظ.

٨ - حلقة نقاش البرازيل ١٩٨٧م

عرفت الإبقاء على المواقع التاريخية بأنها "صيانتها وتحسينها للتعبير عن الماضي وتقوية الشعور بالمواطنة".

٩ - وثيقة نارا للأصالة ١٩٩٤م

عرفت الحفاظ بأنه كل المجهودات المصممة لفهم التراث الثقافي ومعرفة تاريخه، وتؤكد حماية مواده وأصوليتها وإظهاره وترميمه وإثراءه.

و"أهداف منظمة الأمم المتحدة الـ ١٧ ضمن تحقيق التنمية المستدامة وتحويل عالمنا - التى تغطى مجموعه واسعه من قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية - ٢٠٣٠م.

وغيرها الكثير من الاتفاقيات والمواثيق كلها تدعو الى الحفاظ على التراث الحضارى والعمرانى والتاريخى وتوحد السبل والإمكانيات والدعم لتحقيق ذلك، الأمر لايتطلب إلا المبادرة والبدء فى وضع استراتيجية واضحة ومحددة الاهداف لتطبيقها.

٥ - نطاق البحث المدينة القديمة بمدينة درنة

مدينة درنة هي مدينة ليبية تقع على الشريط الساحلي الشمالي الشرقي للبلاد شكل رقم (٢)، على خط طول ٤٥ وخط عرض ٢٢,٤٠، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب سلسلة من تلال الجبل الاخضر، ويقسم المدينة مجري الوادي إلى قسمين وهذا الوادي يسمى وادي درنة وهو أحد الأودية الكبيرة المعروفة في ليبيا، وتبلغ مساحتها ٤,٩٠٨ كم^{٢} أى حوالى ٤٩٠,٨ هكتار، وتقدر مساحة المدينة القديمة فيها حوالى٧,٥ هكتار، ويبلغ عدد سكان مدينة درنة ٨٠,٦٣٨ نسمه تقريباً (حسب تعداد ٢٠١٢م).

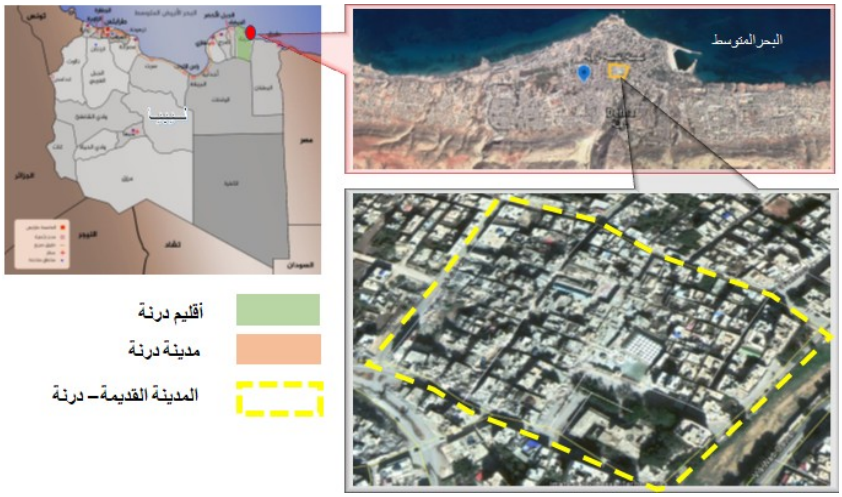

شكل رقم ٢ - يوضح موقع منطقة الدراسة بالنسبة لليبيا ولمدينة درنة المصدر :معالجة الباحثة لصور فضائية من Google Earth

٥ -١ - نمط النسيج العمرانى للمدينة القديمة درنة نسيج قديم متضام

حيث ان النسيج العمرانى لها جاء بنمط عضوى وبنمط خطى شريطى طولى لمركز المدينة القديمة بأزقتها الضيقة وشوارعها الغير مستقيمة والمتعرجة، والتشكيل العمرانى ذو كثافة بنائية عالية والمبانى متلاصقة ومتضامة نتيجة التلاصق والتلاحم للمبانى لا توجد فراغات الا الأفنية وبعض المناور الداخلية وهذا بالفعل ما يميزه، واهم المميزات التي اثرت فى التكوين العمرانى ونسيج المدينة وقوعها مابين البحر والجبال بوادى خصب وتطورهيكلها العمرانى بشكل شريطي خطي على امتداد ساحل البحر، ثم بدأت تتعرض للزحف العمرانى الحضرى على الأبنية القديمة وهدمها وانشاء ابنية جديدة لم يراعى فيها المحافظة على نفس الطابع المعمارى للمنطقة التراثية والي عمليات لمسح أجزاء من نسيجها العمرانى التاريخي لتوسيع ومد الطرق وإعادة تنظيم الفضاء الداخلي للمدينة، نتيجة هذه العمليات العفوية أو المتعمدة على حد سواء في عمومها مع ظروف أخري وبهذة الطريقة تم تقلصها شكل رقم(٣) ومما أدى الى خسارة ما يقارب ٢٠,٥ هكتار، حيث إن مساحة المدينة القديمة في عام ١٩٦٦م، كانت حوالي ٢٨ هكتار لم يبقى منها اليوم سوى ٧,٥ هكتار تقريبا"، كما ان عمليات هدم المنازل التقليدية بسبب الحرب والاهمال وهجرها عن طريق ساكنيها كان يعد الأخطر على هذه المدينة القديمة حيث أنتج فراغات في النسيج الحضري للمدينة القديمة مما سبب تشوها في استمرارية المشهد الحضري.

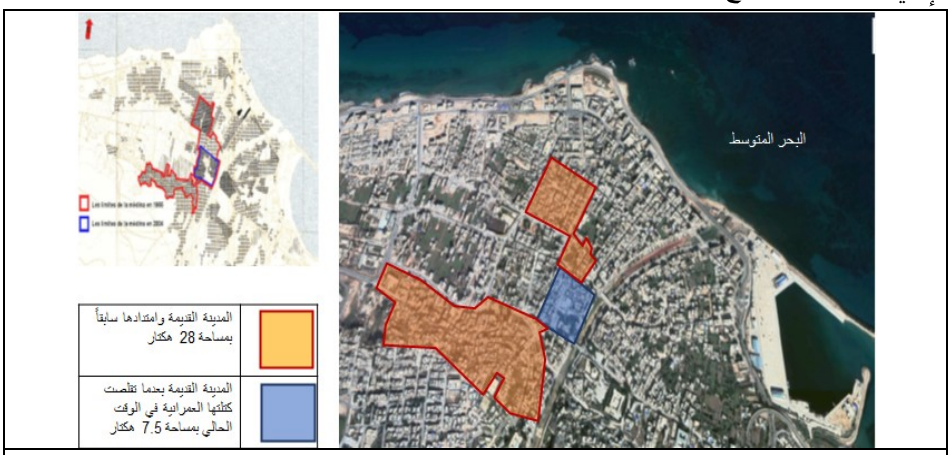

شكل رقم ٣ - المدينة القديمة امتدادها وتقلصها نتيجة الزحف العمرانى. المصدر : معالجة الباحثة لصورة فضائية Google Earth

٥ -٢ - الملامح المعمارية والتخطيطية لمدينة درنة

فى مدينة درنة القديمة يعتبر سوق الظلام هو محور المدينة القديمة الحركى"ويشطرها الى جزئين وتتفرع منه الازقة منها المفتوحة وبعضها مقفلة وهما جزئين شرقى وغربى الجزء الشرقى منها خمسة ازقة مفتوحة هى زقاق العطارين، وزقاق

صوان، وزقاق عبد الغفار، وزقاق العتيق وتأخذ هذه الازقة اتجاهات افقية شرقية وغربية، اما الجزء الثانى الغربى فيضم ستة ازقة مقفله وهى زقاق الدرقاوية، وزقاق المؤدب، زقاق درى، وزقاق الامين[٦] أهم ميادين وساحات المدينة: البياصة الحمراء، وبياصة الطير، وميدان الزاوية، وساحة العتيق ومركز المنطقه ومحورها الجامع العتيق وسوق الظلام ثم اتسعت الى الجانب الأخر من الوادي حيث سوق الصحابة.

ومن اهم معالم مدينة درنة الحالية: جامع الصحابة الذي يعتبر من أشهر المساجد في المدينة، والمسجد العتيق، بيت درنة الثقافي الكنيسة سابقا) شكل رقم (٤)، الميناء التجارى البحرى، الأسواق كسوق الفردة، وسوق الخرازة، وسوق الخضرة، وسوق الفندق، وسوق الظلام ومعالم أخرى: كحديقة الطفل الجديدة، وجمعيّة الهيلع للمقتنيات الأثريّة، والكورنيش، والشاطئ الصخري، وشلال درنة، فندق لؤلؤة درنة.

شكل رقم ٤ - يوضح منطقة الدراسة وأهم المعالم التراثية والتاريخية فيها ٢٠١٤٢١٤م،٢٠١٦م المصدر: معالجات الباحثة على مخطط للمدينة من اعداد مكتب المصمم الهندسى – بلدية البيضاء

المشاكل التى تعانى منها المدن القديمة والعوامل التى ادت الى اهمالها وتدهورها

١ - التعدى على الأبنية السكنية التاريخية باستعمال مناقض لوظيفتها الاصليه وهذا ناتج عن عدم تفهم القيمة التاريخية والفنية للمنطقة وخاصة انها لاتعود بالفائدة المحسوسة على سكان المنطقة مما لايشجع على الاهتمام بها[٧]، (عوامل بشرية).

٢ - نزوح السكان الاصليين وتفكك التركيب الاجتماعى[٨]، (عوامل اقتصادية واجتماعية).

٣ - الهدم والبناء فى المنطقة دون مراعاة للنسيج العمرانى بسبب القصور فى التشريعات التى تهتم بالمناطق التاريخية وغياب الأشراف التخطيطى من قبل السلطات البلدية او السياحية[٩]، (عوامل سياسية).

٤ - مواد البناء الحديثة ودخول تقنيات حديثة أدت الى التشويه البصرى للمبانى التاريخية، كما ان محاولة توفير الخدمات الناقصة ومن بنية تحتية بطرق غير ملائمة أدى الى الحاق الضرر بالطرق والممرات والازقة فى المنطقة، كذلك المرور الآلى والأهتزازات والضوضاء والتلوث من عوادم السيارات الذى يتحول مع الرطوبه الى حمض الكبريتيك ويؤدى الى تأكل الأحجار والطوب (عامل الحداثة والتكنولوجيا).

ان إعادة إعمار وتأهيل المنطقة التاريخية القديمة لمدينة درنة وإدماجها في محيطها الحضري بطريقة فاعلة يضمن استمرار الدور الحضاري لهذه المدنية ويحافظ على مواردها ويساعد في التغلب على بعض المشاكل الاقتصادية لتدويرعجلة التنمية بكل فروعها، كفرع السياحة خاصة مع ما يشهده العالم من نمو في حركة السياحة البيئية والثقافية، وهذا التوجه نحو تهيئة المدن التاريخية للاستثمار السياحي يتطلب استراتيجية محكمة لضمان تحقيق أكبر قدر من الأهداف.

ومن أهم اسباب تدهور التراث العمرانى فى منطقة الدراسة بناء على العوامل المؤثرة فيه الأتى:

١ - اسباب طبيعية (الرياح، الأمطار، الحرارة، الرطوبة، ...الخ).

٢ - اسباب بشرية واجتماعية (هجرة السكان من المبانى التقليدية، دخول السيارات، غياب الثقافة والوعى بأهمية التراث العمرانى الذى أدى الى الاهمال واللامبالاة).

٣ - اسباب اقتصادية (ضعف الميزانيات والدعم المادى - وعدم فتح باب الاستثمارات الخارجية).

٤ - اسباب سياسية (تدمير التراث العمرانى بسبب الحروب على السلطة ومحاربة الإرهاب).

وان اهم واخطر مشكلة تعانى منها المدينة القديمة اليوم هى أثار الحرب التى دارت خلال الفترة٢٠١٧ م - ٢٠١٨م حتى نهاية وخلفت ورائها هدم وتدمير للمنطقة شكل رقم (٥) مما يتطلب أعادة إعمار وبناء لأجزاء كثيرة منها بالأضافة الى معالجات وسياسات يمكن تبنيها للحفاظ على هذا الجزء المتبقى من التاريخ والتراث العمرانى لهذه المدينة.

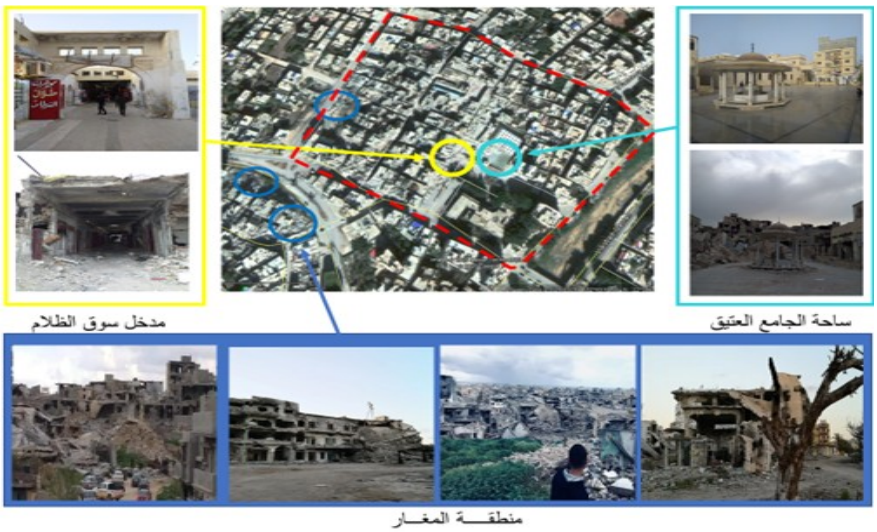

شكل رقم ٥ - يوضح بعض من المناطق قبل وبعد التدمير جراء الحرب على الارهاب فى منطقة الدراسة – والوضع الحالى لمنطقة المغار المجاورة لها -المصدر: معالجات الباحثة لصورة فضائية من Google Earth وصور بواسطة طلبة كلية العمارة والفنون – درنة بإشراف الباحثة واخرى من موقع https://www.alarabiya.net/ar/north-africa

كيفية الحفاظ على التراث العمرانى بالمدينة القديمة درنة

قبل أحداث الحرب الاخيرة والتى دمرت أجزاء كثيرة من المنطقة وفى محاوله جادة لجهات مهتمة بالتراث العمرانى والمنطقة التراثية القديمة بمدينة درنة كجزء من هذا التراث فقد تم القيام ببعض عمليات التطوير والترميم والصيانة والطلاء والتنظيف لأجزاء من المدينة القديمة وتم فيها التركيز على المسجد العتيق وساحته وسوق الظلام والساحة الحمراء وساحة وكالة الحصادى وسوق الفردة ولكن هذه الاعمال لم تستكمل ولم تشمل كل المنطقة ولكن فقط الاجزاء الظاهرة والمبانى المميزة وهذا جزء من الخطأ التى تقع فيه بعض سياسات الحفاظ فى بلداننا العربية، وفى جميع الاحوال فالمنطقة بالكامل حاليا بحاجة الى أعادة إعمار وبناء وترميم وإعادة تأهيل،...ألخ من سياسات التعامل مع التراث العمرانى والحفاظ عليه كلا" حسب السياسة التى تتناسب مع الحالة للمبنى أو العناصر البصرية المميزة.

السياسات المقترحة للتعامل مع التراث العمرانى فى المدينة القديمة

سياسة اعادة البناء[٩]: وهى سياسة أعادة البناء والتعمير للمناطق التراثية المتدهورة عمرانيا وهى تستلزم عمليات أزالة واحلال وتجديد واسع النطاق وبشكل جذرى وإعادة بناء منشأت وأعادتها لصورتها الأصليه وتنسيق المواقع المحيطه وتجديد المرافق والخدمات اللازمه، كما هناك امكانية لتغيير بعض الاستعمالات والنسيج العمرانى وشبكات الحركة مع التركيز على حركة المشاة والمساحات الخضراء، هذه السياسه تمتاز بحريه واسعه ولكن لابد من التحكم بها بحيث لاتؤثر على المبانى التراثية وتحافظ على الطابع العمرانى والمعمارى للمدينة وهذة السياسة ممكن تطبيقها.

١ - **على منطقة المغار المتضررة كليا**"واضح فى شكل رقم

(٦) صورة رقم (٢) والجزء الجنوبى الغربى من المدينة القديمة واضح فى الصورة رقم (٣) من نفس الشكل.

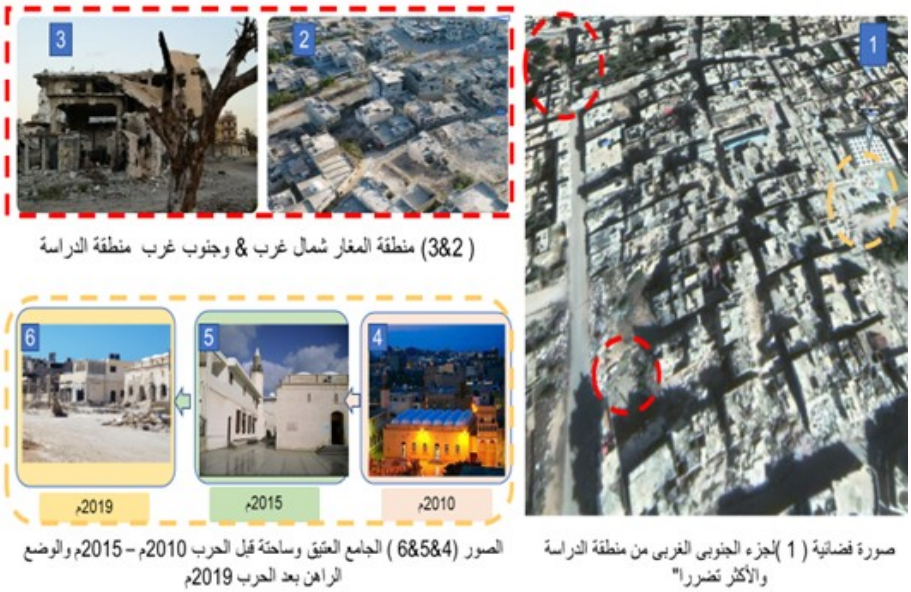

شكل رقم ٦ - يبين صورة فضائية لمنطقة الدراسة ٢٠٢٠ م – وصورتين لشمال غرب وجنوب غرب المنطقة ٣،٢ -٢٠١٩م وصور للجامع العتيق ٤ وساحتة ٦,٥(صور التدمير والهدم هوالوضع الحالى لمنطقة الدراسة)المصدر:معالجة الباحثة لصور فضائية وفوتوغرافية من Google Earth

٢ - سياسة الترميم والتجديد

هذه السياسه تتعامل مع حالات فرديه من المبانى الواقعة داخل المدينة التاريخية كالمسجد العتيق وساحته شكل رقم (٦)، او الساحة الحمراء شكل رقم (٨،٧) وليس مع الاطارالعام العمرانى، وهى سياسة أعادة الاصل للمبانى ذات الطابع المميز التاريخى أو الاثرى وذلك عن طريق أعمال الترميم الأنشائيه وكذلك أعمال التشطيب الداخلى والخارجى.

شكل رقم ٧ - توضح الساحة الحمراء قبل الحرب على الأرهاب 2009م – 2014م على التوالى من اليمين الى اليسار - واثناء الحرب - 2019 م - المصدر : تجميع الباحثة – تصوير طلبة كلية العمارة والفنون – جامعة عمر المختار

شكل رقم ٨ - صورة بانورامية للساحة الحمراء بمنطقة الدراسة بعد الحرب – 2020م - المصدر : تجميع الباحثة – تصوير طلبة كلية العمارة والفنون – جامعة عمر المختار

٣ - سياسة الحماية

وهى سياسة الترميم والتجديد للمبانى الأثريه إلا انها لا تعتنى بحماية المبانى من الناحية البصرية فقط بل وتشمل أيضا معايير واشتراطات تضمن صيانة هذه المبانى فى اطارها العمرانى والتشريعى، ممكن أتباع هذه السياسة مع مبنى الكنيسة الكاثوليكيه فى المدينة.

٤ - سياسة الحفاظ

عندما يمتد نطاق الحفاظ ليشمل البيئة العمرانية بالأضافة الى المبانى وفى بعض الاحيان للبيئه الاجتماعية والاقتصادية، تكون السياسة المتبعة فى هذه الحاله هى

سياسة الحفاظ وتتميزهذه السياسة عن سياسة اعادة التأهيل بأنها لا تهتم بالنواحى المعماريه والعمرانية والتكنولوجية للمنطقة التاريخية فقط بل تتجاوز ذلك الى التعامل مع التغيير فى المجالات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وهى أول عمليه يتم خلالها اضافه ماديه لعناصرالتراث لزيادة قوة المواد وترابط المكونات لتأكيد التكامل الانشائى للمبنى وعلاقة أجزائه مثل حقن الحائط لزيادة الترابط للكتابات والزخارف.

٥ - سياسة إعادة الاستعمال والتوظيف الجديد

وهى السياسة التى تهتم بالقيمة الوظيفية والاقتصادية للمبانى التاريخيه للحفاظ على قيمتها التاريخيه والمعمارية والعلمية، فتختص هذه السياسة بإعادة توظيف المبانى التاريخيه فى استعمالات جديدة تلائم التطور وتحافظ على الاثر.

٦ - سياسة أعادة التأهيل

وتهتم هذه السياسة بكل المبانى التاريخيه (من حيث ترميمها وتجديدها وحمايتها وصيانتها وإعادة استعمالها) ومحيطها العمرانى من حيث تحسين طرقها وتزويدها بالبنية الاساسية والمرافق والخدمات اللازمة، وذلك لكى تتكامل المنطقه التاريخيه مع المناطق الحديثة وهى سياسة مطلوبة فى اجزاء كثيرة من المدينة القديمة.

مراحل الحفاظ على التراث العمرانى فى منطقة الدراسة :

الحفاظ على مناطق التراث العمرانى (فى مدينة درنة القديمة) يتم وفق مجموعه من المراحل والإجراءات، مع الاخذ بعين الاعتبار توصيات المخطط العام تجاه هذه المناطق، ولابد لنا أولا" من ان نحدد اولوياتنا فى عملية الحفاظ بحيث نركز على اسبقية مناطق عن اخرى قد تكون حالتها حرجة، بحيث نكون بعملية التجديد والترميم السريع لها نتلافى مخاطر استحالة ترميمها واعادتها الى صورتها الاولى، ولا ننسى الأصالة لأنه من الضروري الاهتمام بأصالة الأثر وعدم تشويهه أو تزويره من اجل إظهاره بشكل أجمل. فان المتفق عليه عالميا من خلال المواثيق الموضوعة لضبط عملية المحافظة ومنها البند الثالث من وثيقة البندقية والذي ينص أن الهدف من حماية وترميم المعالم المعمارية هو التعامل معها كأدلة تاريخية وليس كأعمال فنية فقط، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار عنصر الاستدامة فمن المهم اعتماد الاستدامة كمبدأ رئيسي فى عملية الحفاظ من اجل المحافظة على استمرارية المشاريع وتطويرها واستمرارية حماية التراث المعماري والعمرانى، ولابد من اعتماد إستراتيجية من استراتيجيات الإعمار وتحقيق كل الاهداف المرجوة من الحفاظ وإعادة الاعمار ولا بد من تحقيق المشاركة العامة فى صياغة الاستراتيجية فلا ننسى انه " استطاعت بولندا ان تعيد اعمار مدينة وارسو، شكل رقم (٩)، بعد الحرب بين المقاومة البولندية والقوات النازية فى١٩٤٤م التى خرجت منها فى ١٩٤٥م مغطاة بتلال من الركام والرماد يقدر بحوالى٢٠ مليون متر^{٣}، حيث دمرت ما يقارب من ٨٥% والنسيج العمرانى، و٩٦,٥% من المبانى التاريخية ولكنها استطاعت أن تعود أفضل من ما كانت عليه حتى صارت تلقب بالعنقاء إشارة" الى طائر الفينيق الخرافى الذى ينبعث من الرماد[١١] وعمل أهل وارسو قبل وأثناء الحرب على توثيق العمارة في المدينة، على أمل أن يأتي وقت يتم فيه اعادة بنائها، وتم إخفاء جميع المخططات التوثيقية لمدينة وارسو التاريخية خوفا عليها من النازيين الالمان، وتم إخفاؤها في مدرسة للعمارة في وسط المدينة المدمرة وقام مجموعة من الاكاديميين بالحصول على تصريح لزيارة الجامعة وهناك قاموا بإحضار المخططات والوثائق الهامة وتم إعادة إخفائها خارج المدينة في دير بيتركوف، وبعد نهاية الحرب تم إخراج الوثائق والتي كانت بحالة جيدة وسليمة، وتم استخدامها كأساس في إعادة بناء المدينة بين ١٩٤٥م -١٩٦٦م وتم خلال هذه الفترة بناء حوالي٨٥% من المدينة المدمرة[١٢] .

شكل رقم ٩ - مدينة وارسو - بولندا (أثار الحرب والإعمار) المصدر:https://news.travelerpedia.net/destinations

في عام ١٩٨٠م تم تصنيف المركز التاريخي في مدينة وارسو على أنها تراث إنساني عالمي، وتم الاعتراف بها من

*** ويسبق عمليه الاعمار والحفاظ جمع بيانات عن منطقة الدراسة من حيث:**

عمر منطقة التراث العمرانى، وعمر المبنى المستهدف والى اي حقبه يرجع والى اى حضارة، والأهمية التاريخية للمبنى، أما بالنسبة للابنية المتهدمة كليا" نرجع الى الصور الموثقة والمخططات إن وجدت، يمكن جمع هذة المعلومات عن طريق دراسة تاريخية، حالة المنطقة او المبنى (نسبة الهدم) وهذا يمكن الحصول عليه عن طريق مسح ميدانى كامل للمنطقة - الطابع العمرانى (النسيج العمرانى، كتل وفراغات)، دراسة مدى إمكانيات الاستثمار فى المنطقة، ما مدى رغبة السكان والمجتمع المحلى بصفة عامة فى الاعمار والحفاظ وهذا ممكن تحديدة عن طريق استبيان، وتحديد الجهات التى سوف تدعم عملية الحفاظ سواءا محلية ودوليه وعالمية.

*** ويتم رصد الوضع الراهن فى منطقة الدراسة كالتالى:**

تحديث خريطة المنطقة بالكامل بتجميع الخرائط المساحية المتاحة بالقياس المناسب وتحويلها الى خرائط رقمية ومقارنة الخرائط بصورة الأقمار الصناعية الحديثة للمنطقة لتكون اكثر دقة.

رفع بعض المعالم الأساسية من الطبيعة للتأكد من الخرائط المنتجة من صور الأقمار الصناعية لها لرفع مستوى دقة الرسم، والمسح الميدانى وتكوين قاعدة معلومات حديثة، حيث تعتبر هذه المهمة من أهم الخطوات الأساسيه التى تقوم عليها عمليتى الإعمار والحفاظ لأى منطقه، فعلى قدر دقة البيانات يتوقف مستوى دقة الحفاظ على المنطقه التراثيه.

وتكون خطوات المسح الميدانى[١٠] كالتالى:

يتم تصميم استمارة للمسح الميدانى، ويتم تقسيم منطقة الدراسة الى (مناطق عمل فرعية) على خرائط بمقياس ١:١٠٠٠ لتسهيل عملية المسح الميدانى، بداخل المناطق الفرعية يتم التقسيم الى قطع (بلوكات) كل قطعة (بلوك) له رقم محدد، وبداخل تلك القطع (البلوكات) يتم الترقيم للمبانى، ويتم اتباع اسلوب الرقم الكودى وفى حالة منطقة الدرسة ويمكن الاستعانة بأسماء الأزقة لتسهيل هذة المهمة.

قبل منظمة اليونسكو بأنها مثال بارز على إعادة إعمار كامل لفترة زمنية من التاريخ (اليونسكو ١٩٨٠م)[١٣].

١ -١ - المرحلة الاولى - ترتيب الدراسات كالتالى:

١ -١ -١ - دراسات عمرانية[١٠]

من حيث موقع منطقة الدراسة (المدينة القديمة بدرنة) وعلاقتها بالمناطق المحيطة وطرق الوصول اليها، وتحديد المداخل لمنطقة الدراسة.

١ -١ -٢ - دراسة التطور التاريخى

وذلك خلال فترات زمنية بهدف التعرف على التطورات التى طرأت على المنطقة من الناحية العمرانية ومدى تأثيرها على برنامج الإعمار والحفاظ المقترح.

١ -١ -٣ - دراسة الهيكل العمرانى للمنطقة التراثية

التعرف على الخصائص العمرانية للمنطقة والتكوين الوظيفى، والاستخدامات المتجانسة وغير المتجانسة ومواقع الارض الفضاء التى يمكن استغلالها، بالإضافة الى استعمالات الأرض وحالات المبانى منطقة الدراسة حاليا" حوالى 25% من مبانيها فى حالة سيئة جدا"، وارتفاعاتها وطرق ومواد الانشاء وحالة البنية الاساسية .....الخ ويتم انتاجهذه المعلومات والعناصر على هيئة خرائط.

١ -١ -٤ - الدراسة البصرية للمنطقة التراثية

وهى تساهم بقوة فى التأكيد على الطابع العمرانى للمنطقة والتأكيد على العناصر التى تشملها أولويات أعادة التأهيل والترميم والحفاظ، شكل رقم(١٠)، **المصدر:** معالجة الباحثة على مخطط للمدينة بشكل مبسط.

- المسارات

(الأزقة والشوارع كزقاق العطارين، زقاق الدرقاوية، زقاق العتيق) العلامات المميزة فى المنطقة التراثية: (المبانى الرئيسية فى المنطقه كالجامع العتيق، الكنيسة، فندق الجبل، سوق الفردة).

- نقاط التجمع والعقد

الساحات كالساحة الحمراء، والأبنية المرتبطة بنشاطات اجتماعية او دينية).

- البوابات

(مدخل سوق الظلام....).

- الاحياء

(وهى المناطق الفرعية المتجانسة عمرانيا واجتماعيا وتعتبر المدينة القديمة بحد ذاتها حى واحد ذو خصائص وتجانس عمرانى واجتماعى بالنسبة لمدينة درنة ككل..).

- الحدود

وهى حدود المنطقة التراثية طبيعية كانت او صناعية كشارع الاسطى عمر شمالا"، شارع الوادى شرقا"، شارع الصحابة جنوبا".

شكل رقم ١٠ - يوضح استعمالات مبانى المنطقة والعناصر البصرية للصورة الذهنية للمدينة - المصدر: معالجات الباحثة على مخطط للمدينة من اعداد مكتب المصمم الهندسى - بلدية البيضاء

١ -١ -٥ - الدراسات الاجتماعية

التعرف على طبيعة السكان الاصليين فى المدينة القديمة وتحديد مطالبهم وهذه المعلومات يمكن الحصول عليها من خلال استبيان لعينة عشوائية من سكان منطقة الدراسة وعينة من سكان مدينة درنة عامة، ودراسة التالى : عدد سكان المنطقة، يمكن من خلال مخطط تقسيم واستعمال الأراضى ومعدل حجم الاسرة يمكن تحديد عدد السكان فى المنطقة، النشاط الاقتصادى الرئيسى للسكان والابرز فى منطقة الدراسة.

١ -١ -٦ - دراسات البنية الاساسية للمنطقة التراثية

دراسة شبكة الطرق بالمنطقة والمسارات وأماكن الانتظار العامة والخاصة، شبكة المشاة، ومدى تأثرها حاليا" بالحرب كذلك الحال بالنسبة لشبكات المرافق بالمنطقة (مياه، كهرباء، صرف صحى، اتصالات) ومدى امكانية تطويرها بحيث لا تحدث خلل بالمنطقة سواء بالناحية العمرانية او البصرية.

١ -٢ - المرحلة الثانية

فى هذة المرحلة يتم إجراء تحليل عام للدراسات السابقة وتقارن بالوضع الراهن للمنطقة ثم يتم وضع البدائل ومقترحات لأفضل الحلول والسياسات لعملية الحفاظ.

١ -٣ - المرحلة الثالثة

هى مرحلة اختيار المقترح الافضل لعمليات الحفاظ والذى يحقق اهداف أستراتيجية الحفاظ الشاملة، الإحياء الشامل للمدينة القديمة يشمل احياء الشكل، والوظيفة والتوزيع المكانى وكذلك تحقيق مطالب المقيمين فى المدينة الذى قد يشمل تحويل شوارع قائمة الى ممرات مشاة كما يشمل اعمال تصميم وتنسيق الساحات العامة والحدائق تحقيقاً للتنمية المستدامة.

النتائج

١ - ان قدرات المجتمع المحلى محدودة ولا تغطى اعباء إعادة الاعمار والحفاظ ولا المصروفات والسياسات الفنية المطلوبة لها.

٢ - إن استراتيجية الأعمار للمدينة القديمة والحفاظ عليها تتضمن ثلاث إعتبارات أساسية لنجاحها:

- الاعتبارات البيئية

مراعاة البعد البيئي لعملية الأعمار وتعزيز مبدأ الإستدامة.

- الاعتبارات الاقتصادية

الشراكة بين القطاعين العام والخاص وتخصيص مبالغ

مالية بالميزانية العامة للدولة أو أي دعم أو منح خارجية او إستثمار.

- الاعتبارات الاجتماعية

ألشراكة المجتمعية بين السكان وقبولهم بحركة التطوير المعمارى والعمرانى دون إحداث خلل إضافى يلحق بالبيئة داخل المنطقة التراثية.

- اعتبارات قانونية وتشريعية

التعامل مستقبلا" مع المنطقة التراثية التاريخية لمدينة درنة بعد عمليات إعادة الاعمار والترميم والحفاظ على انها متحف كبير مفتوح للتراث وشاهد على الحضارات، وعلى أنها محمية تاريخية بناءا" على التشريعات والقوانين.

التوصيات

* مشروع الإعمار والحفاظ على التراث العمرانى فى مدينة درنة القديمة يجب ان يتم على مستوى قومى إقليمى من حيث التمويل ويجب ان تبدأ عمليات الحفاظ من مستوى التخطيط العمرانى بحيث لا تتعارض عمليات الحفاظ مع عملية الاعمار لباقى المدينة المهدمة ومع عمليات التنمية الشاملة المستدامة.

* من الممكن اتباع سياسة شراء الأبنية السكنية التراثية من ملاكها من المواطنين اللذين لايرغبون فى العيش فيها واستغلالها واستثمارها فى مجال السياحة كأماكن للأقامة السياحية تعود بالنفع على سكان المدينة القديمة ومدينة درنة عامة.

* تشجيع وتبنى الصناعات الحرفية والفلوكلورية والمعارض التى تعبر عن الموروث الثقافى.

* تشجيع تبادل الخبرات المهنية والفنية داخل ليبيا ومن خارجها وبين القائمين على اعداد مشروعات الحفاظ والقائمين على تنفيذها وتمويلها ودعمها فنيا من خلال مركز التوثيق والمعلومات.

* مشاركة المجتمع المحلى فى الحفاظ على التراث الحضارى وتوعيتهم بشأن أهميته.

PRESERVATION OF URBAN HERITAGE OF OLD CITIES (THE OLD CITY - DERNA AFTER THE WAR)

Dr. Mahmoud Mohammed Ghaith[1] Dr. Sherif Sabry Saad Al-Din[2] Eng /Samira Ahmed Ben Omran[3]

Abstract

Finding a way to deal with the ancient heritage and historical cities that are an "important" part of the fabric of our urban cities is a priority that we must take into account when thinking about sustainable development plans in general and sustainable tourism development plans in particular, and during this research some concepts were reviewed. And the agreements that support the preservation of the international heritage because it is a reference for interventions in the preservation and restoration of the architectural and urban heritage, and the research dealt with preservation policies based on studies on the urban area, in which the scope of preservation extends to include the urban environment in addition to the buildings and in some cases the social and economic environment, and the research concluded that The conservation operations should start from the level of urban planning, so that the conservation operations do not conflict with the reconstruction process for the rest of the destroyed city and with the comprehensive sustainable development processes.

المراجع

١ - بوخش ر، (منهجية الحفاظ المعماري الفرضيات واطروحات الحلول، بحث مقدم الى المؤتمر والمعرض الدولي الأول الحفاظ المعماري بين النظرية والتطبيق، دبي2004).

٢ - الطاهر ر (نحو تنمية مستدامة للمدن القديمة، جامعة الفاتح، ليبيا، 2004م، ص61).

٣ - الزهرانى ع (ادارة التراث العمرانى، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية 2012، ص25 - ص32).

1-Prof.of Urban Planning-Faculty of Engineering, Al-Azhar University
2- Prof.of Urban Planning-Faculty of Engineering, Al-Azhar University
3- Lecturer at Faculty of Arts and Architecture - Omar Al-Mukhtar University
*** The paper is part of the requirements for obtaining a Ph.D**

٤ - دليل المحافظة على الثراث العمرانى (وزارة الشئون القروية، الطبعة الأولى،1426هـ، ص4.

٥ - أبو ليله م، البرقاوى و (منهجيات الحفاظ على التراث العمرانى والمعمارى فى الدول العربية، 2019، **http://www.ierek.com/press**

٦ - الشمرى ن - حسين ع (٢٠٠٧، الملامح المعمارية والتخطيطية لمدينة درنة، جامعة بغداد، المجلات العلمية الاكاديمية).

٧ - استنادا" على، ندوة التخطيط العمراني ودوره في اعادة اعمار مدينة بنغازي"، صدر بمدينة بنغازي بتاريخ الاحد الموافق٥ فبراير ٢٠١٧.

٨ - ابو هنطش ن (٢٠٠٧) نحو سياسة أعادة التأهيل للمبانى السكنية فى مراكز المدن الفلسطينية، ص٤٢).

٩ - علام أ، وأخرون (١٩٧٧)، تجديد الاحياء، مكتبة انجلو - القاهرة، ص٢٧٧).

١٠ - استنادا" على دليل المحافظة على التراث العمرانى، وزارة الشئون البلدية والقروية، الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ.

١١ - الحريتانى م (٢٠٠٩)، الاسس التخطيطية للحفاظ على المدن التاريخية، دراسة مقارنة بين عدة حالات اوربية وعربية -حلب وارسو)

12- Bevan, R, (2006), the destruction of memory: Architecture at war London: Reaction

13- Al Aloul Marah, (2007), the destruction of cultural heritages by warfare and reconstruction strategies: lessons learned from case studies of rebuilt cities, MA Thesis, University of Florida, p.27.